كان للرجل فرشاة ـ شارب رمادي ، ولسانه كان يلعق شفتيه ثم يعود ويلعقهما ثانية كما لو كان وجوده كله قد تركز في هذا اللعق · قرب يديه من صدره وراح يحركهما بدوائر صغيرة يائسة معللة ، من دون ان يجد الارضية لنفسه بين ما كان حتى هذه اللحظة تماما ، وبين ما يجري تماما في هذه اللحظة ـ وها هو الان امامنا في صميم انسحاب الارض من تحته ، في استدارة الدولاب تماما ·

ـ « لماذا يحوم هنا ؟ فالمشاكل لا تأتينا دائما الا من اولئك الذين يحومون هكذا بين الارجل من امثاله » ·

ـ « لمجرد انه لم يستطع الهرب من هنا » ، قال شلومو وهو ينظر حوله يبحث عن شيء ما بقلق ·

ـ « ولماذا يهرب ؟ كلا كلا · ثمة شيء اخر هنا · انني اعرف هذا الطراز · ما كل ذلك الذي يفعله سوى مسرحية ، انه محتال ! » ·

ـ « لقد حدثوه ، كما يبدو ، قصصا شتى عنا ـ انه يكاد يموت خوفا ! اسأله يا غابي ، اسأله ما الخبر » ·

وهنا تدخل مويشي وقال ان ثمة من يطرح الاسئلة ، وما علينا الا ان نتركه وشأنه . وان نستمر اذا كنا نريد ان ننتهي · ثم التفت الى العربي وهو يشير الى الجيب ، ولكي يجنبه الوقوع في اي خطأ ، دفعه دفعة قوية الى داخله ، الى حد انه انغرس في جداره يتعلق به وهو يطوي نصف جسمه الاعلى داخله ، بينما بقيت ساقاه وذيل قمبازه وصندله تتدلى خارجه وهي تتخبط تخبطات مضحكة محزنة على السواء · شدوه ، دحرجوه ، تدحرج كيس داخل الجيب ، وحين اعتدل اكتشفنا ان تلك الحركات السريعة جعلته يصحو من ذهوله ، ويعثر في الاخير على لسانه ، وبابتسامة يائسة تلفت نحو غابي ، وقد ظنه رئيسنا ، وقال :

ـ « سأقول كل شيء ، يا سيدي ، سأقول كل شيء ··· » الا انه لسوء حظه ، كان قد ألم به تشنج هنا وانتابه غثيان فراح يتقيأ حوله ، ونحن نتقافز بعيدا عنه بقرف ·

ـ « جيفة ! » صرخ غابي · « لا بد وان هذا الحقير يضمر شيئا » ·

ـ « انه الخوف ! » قال شموليك معللا ، « انه يلوث كل شيء » ·

كان العربي الذي في الجيب ينحني صاغرا ، وهو لا يزال يحاول اخفاء آلامه بابتسامة اعتذار شاحبة سخيفة ، ويمسح نفسه بطرف قمبازه ، يتفل ويسعل ويبتسم ويخنق في داخله شهقات محشرجة ومغصا وألما · وكان منزويا كله امتعاضا بقيئه وبخوفه وببسمته ، بالحيف الذي ربما أحيق به ، بهيئته هيئة المواطن الفاضل الذي تدحرج في مجرور قاذورات ـ رمينا له كيسا من الخيش صادفنا ، فراح يبذل كل جهده وبحرص مفرط ، طاويا كل شيء داخله : يجفف وينظف ويمسح ، وهو يحاول طيلة الوقت ان يهدأ ، ان يسيطر على نفسه ، لولا ان يديه كانتا ترتجفان فتخونانه · وفي النهاية خيل اليه انه قد انتهى فالتفت الينا ، يمتدحنا ، على ما يبدو ، الا ان رجفة مفاجئة كانت قد ارجعته فتغير وجهه للحظة ، ثم سرعان ما عاد يبتسم لنا بسمة غبية متشابكة ، بسمة معتوه ·

ـ « ربما كان مريضا » ، قال احدنا ·